

هيلل كوهين*

تسويق الاحتلال للفلسطينيين في الضفة الغربية: صفحات جهاز الشاباك على موقع «فيسبوك» في سياق تاريخي^١

ملخص

التي كانت تطلقها دعاية الحركة الصهيونية عند استهداف الفلسطينيين على مدى القرن المنصرم، ومفادها: إن إسرائيل وجدت هنا لتبقى، وهي تريد التعايش، أما أولئك الذين يقاومون حكمها فسوف يتكبدون المعاناة. ولكن الرسائل، هذه المرة، لها هدف وتكتسي طابعاً شخصياً وتوضحها وثائق حية تُظهر شاباً يتعرضون للاعتقال ومنازل في أثناء هدمها ودعوات للتعاون والتبليغ عن الآخرين والمعائدات التي تنطوي على الموعظ.

تحظى هذه الصفحات بعدد ضخم من المتابعين، ويوضح الفلسطينيون في تعليقاتهم أنهم ما زالوا لا يتقبلون تلك الرسائل ولا يصدقونها. وتشير قلة قليلة من هؤلاء إلى

خاض جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك)، في السنوات الأخيرة، حرباً نفسية جديدة وأطلق صفحة باللغة العربية على موقع «فيسبوك» ليخاطب الفلسطينيين عبرها، إلى جانب صفحات تتسم أهدافها بقدر أكبر من التحديد ويديرها ضباط مسؤولون عن المناطق في الضفة الغربية، وتخاطب فئات محددة من السكان الذين يخضعون لسيطرتهم فيها. وتكاد الرسائل الرئيسية التي تبثها هذه الصفحات تتطابق مع تلك

* باحث ومدرس في قسم الشرق الأوسط في الجامعة العبرية.

وبقدر معين من التنسيق فيما بينها، ضمن ما يُعرف باسم عمليات التأثير (هاسبأراه)، التي يرد تعريفها على النحو التالي:

أي عمل يرمي إلى تحفيز فئة مستهدفة أو فرد أو جماعة بارزة أو جمهور عام وبث الحماسة فيهم - لكي يتقبلوا المنهجيات ويتبنوا القرارات التي تتشابه مع مصالح القائمين على عملية التأثير. ويقع في صميم عملية التأثير الإجراءات التي تؤثر في المفاهيم الإدراكية والنفسية التي تحملها الفئة المستهدفة.^٤

تدرس هذه المقالة الصفحات التي يديرها جهاز الشاباك على موقع «فيسبوك» والرسائل العلنية والسرية التي تتضمنها من منظور تاريخي. كما تنظر في الردود التي يدلي بها الفلسطينيون على المنشورات الإسرائيلية. وييسر هذه الردود الطابع الفريد الذي يسم مواقع التواصل الاجتماعي، التي تقوم على التبادل والاستجابة الفورية.

ولا بد من كلمة تحذير في هذا الصدد في ما يخص الدراسات التي تتناول وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يتعذر التحقق من أصالة التعليقات والردود وصحتها بسبب البرامج الآلية والحسابات الزائفة التي تستخدمها أجهزة المخابرات والهيئات التجارية على نحو مكثف. وتدرس هذه المقالة حركة هذه البيانات على النحو الذي تظهر فيه على تلك الصفحات دون أن تسوق الادعاء بشأن مدى موثوقيتها.

من الصحف إلى صحافة الراديو إلى القنوات الفضائية -

ما يربو على قرن من الحرب النفسية

استُهلّت الدعاية التي أطلقتها الحركة الصهيونية باللغة العربية بعد فترة وجيزة من ثورة «تركيا الفتاة» التي انطلقت شرارتها في العام ١٩٠٨. فقد مهدت السبيل أمام ظهور الصحافة العربية في فلسطين، وأماطت اللثام عن عداوة دفينّة تجاه الصهيونية. وفي الوقت نفسه، تعرض المستوطنون اليهود، ولا سيما في الجليل، لسلسلة من الهجمات

أنهم يبدون الاهتمام في المنافع التي تعد بها تلك الصفحات، وبعضهم يسوق وابلًا من الشتائم، وآخرون يستخدمون المنصة لبث رسائل سياسية مضادة ومشفوعة بالأسباب التي تحدد بأصحابها إلى نشرها. ومع ذلك، يبدو أيضًا أن وسائل التواصل الاجتماعي لم تساعد حتى الآن في تحقيق الهدف طويل الأمد والمتمثل في خطب ودّ الفلسطينيين، وإن كان من الجائز أنها أضعفت عزيمتهم على الانضمام إلى حركة الكفاح في وجه الاحتلال.

في صيف العام ٢٠١٥، أطلق جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) صفحة على موقع «فيسبوك» باللغة العربية، وعنوانها «بدنا نعيش»، وبهذا العنوان، يخاطب جهاز الشاباك الملايين من الفلسطينيين الذين يخضعون لسيطرة إسرائيل بقوله: أوقفوا الصراع، وركزوا على احتياجاتكم اليومية وسوف يكافئكم الحكم الإسرائيلي بالرخاء والازدهار.

وانضم الضباط الميدانيون [الذين يحمل الواحد منهم رتبة «كابتن»] في جهاز الشاباك إلى هذه المعركة، بعد سنتين من إطلاقها، وأطلقوا صفحاتهم الشخصية على موقع «فيسبوك». ومنذ ذلك الحين، نشر هؤلاء الضباط المئات من النصوص، بعضها بالتنسيق مع الصفحة الرئيسية «بدنا نعيش». ويتعامل ضباط آخرون مع قضايا طابعها محلي - حيث يخاطب كل كابتن القرى التي تقع ضمن نطاق مسؤوليته. ويتابع الآلاف من الفلسطينيين هذه الصفحات، التي باتت تشكل منصة تحتضن حوارًا يُعدّ فريدًا في طابعه بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وهو ما نظرحه على بساط البحث في هذه المقالة.

يشكل النشاط الذي يزاوله جهاز الشاباك على موقع «فيسبوك» جانبًا من تحرك إسرائيلي أعمّ وأوسع يرمي إلى توظيف وسائل التواصل الاجتماعي في التأثير على الرأي العام في أوساط السكان العرب. ويشارك في هذا النشاط الناطق الرسمي باسم «قوات الدفاع الإسرائيلية» باللغة العربية، ومنسق أعمال الحكومة في المناطق، وجهاز الاستخبارات العسكرية ووزارة الخارجية.^٥ وتعمل هذه الهيئات مجتمعة،

التي شنها السكان العرب المحليون عليهم. ونتيجةً لذلك، اعتبر النشطاء الصهيونية أن تغيير الرأي العام العربي بات مهمة ضرورية أن أوانها.

لم تقم الحركة الصهيونية بتمويل ونشر صحيفة باللغة العربية خلال الفترة العثمانية باستثناء صحيفة صدرت خلال العام ١٩١٤ مدة قصيرة قبل أن تتوقف وهي صحيفة «صوت العثمانية». وكان المسار البديل الذي اختاره مكتب الحركة الصهيونية في فلسطين يتمثل في نشر المقالات التي تؤيد الصهيونية في الصحافة العربية، إما من خلال كُتّاب يهود مثل شمعون مويال ونسيم ملول، أو من خلال صحافيين عرب.

وإبان حقبة الانتداب البريطاني، شهدت الدعاية التي بثتها المؤسسات الصهيونية في أوساط السكان العرب توسعاً في نطاقها، ونُشرت الصحف الصهيونية بالعربية ووزعت. وكان من بين أبرز هذه الصحف صحيفة «السلام» التي تولى نسيم ملول تحريرها، وصحيفة «بريد اليوم» (١٩٢٠-١٩٢١؟) التي نشرها أصحاب صحيفة «دوائر هايوم» التي كانت تصدر باللغة العبرية، وصحيفة «اتحاد العمال» التي أصدرها الهستدروت (١٩٢٥-١٩٢٧)، وصحيفة «حقيقة الأمر» التي نشرها الهستدروت بدءاً من العام ١٩٣٧ حتى العام ١٩٦٠ في صيغ متغيرة.

وفي العام ١٩٣٠، حدد المكتب المشترك، الذي كان يتولى تنظيم الأنشطة الصهيونية بين طهراني العرب في حينه، الغايات المتوخاة من النشر في الصحافة العربية:

الإشارة إلى الأضرار والخسائر التي تلحق بالعرب بسبب انعدام استعدادهم للتوصل إلى اتفاق وتفاهم مع اليهود... والتركيز على عجز العرب عن بناء «إيرتس إسرائيل» (أرض إسرائيل) بمفردهم، دون مساعدة من اليهود، واستحالة إنجاز التنمية وإحراز التقدم ما لم يعمل الشعبان مع بعضهما البعض. والتشديد على الصعوبة التي تسببها الاضطرابات وانعدام الأمن في البلاد في جميع مناحي الحياة وتعطيلها وتراجعها، والتي يتكبد كلا الشعبين المعاناة منها... وتقدير

مواد الأخبار عن النيات الحسنة التي يكتنّها اليهود للعرب حسبما ورد إعلانه على لسان زعمائهم وفي المؤتمرات الصهيونية وغيرها، ونشر... مواد الأخبار الأخرى التي تشيع روح السلام والأخوة.^٥

وفضلاً عن الجوانب الإيجابية التي وسّمت هذه الحملة، فقد انطوت على جوانب سلبية كذلك: التشهير وبث التنازع والخلاف، بمعنى تشويه سمعة زعيم الحركة الوطنية الفلسطينية، المفتي الحاج أمين الحسيني، والقدح فيه وفي أتباعه وبذر بذور الشقاق في أوساط المجتمع الفلسطيني بمختلف شرائحه وأطيافه وشخصياته، ولا سيما بين المسلمين والمسيحيين.^٦

ویرت حرب العام ١٩٤٨ علاقات القوى وقلبتها رأساً على عقب، حيث أمسى ما نسبته ٨٠ في المائة من العرب الذين كانوا يعيشون في الإقليم الذي تحول إلى دولة إسرائيل لاجئين، وأقيمت دولة يهودية على ٧٨ في المائة من مساحة إقليم فلسطين الانتدابية، وصار العرب أقلية يشكلون ١٥ في المائة من إجمالي تعداد السكان. ومن بين جميع الصحف الفلسطينية التي كانت تصدر في الإقليم الذي صار دولة إسرائيل، لم يبق سوى صحيفتين، وهما صحيفة «حقيقة الأمر» الصادرة عن الهستدروت وصحيفة «الاتحاد» التابعة للحزب الشيوعي.

وبالنظر إلى ضعف انتشار صحيفة «حقيقة الأمر»، أنشأ الهستدروت صحيفة «اليوم» بالشراكة مع مستشار الشؤون العربية في مكتب رئيس الوزراء. وانطلقت هذه الصحيفة في وقت مبكر من العام ١٩٤٨، وظلت تصدر بانتظام حتى العام ١٩٦٨، وألّت إليها مكاتب صحيفة «فلسطين» التي كانت تتخذ من يافا مقراً لها ومطابعها بعدما وضعت الدولة يدها عليها.

استهدفت هذه الصحيفة الأقلية العربية في إسرائيل في المقام الأول، وكانت رسائلها تردد صدى الأفكار الصهيونية الأولى: دولة إسرائيل نعمة على المنطقة وعلى مواطنيها العرب، ودولة إسرائيل تريد السلام، وإسرائيل مختلفة عن جيرانها وأفضل منهم لأنها دولة ديمقراطية، والدولة تعمل على ما يحقق

يشكل النشاط الذي يزاوله جهاز الشاباك على موقع «فيسبوك» جانباً من تحرك إسرائيلي أعمّ وأوسع يرمي إلى توظيف وسائل التواصل الاجتماعي في التأثير على الرأي العام في أوساط السكان العرب. ويشارك في هذا النشاط الناطق الرسمي باسم «قوات الدفاع الإسرائيلية» باللغة العربية، ومنسق أعمال الحكومة في المناطق، وجهاز الاستخبارات العسكرية ووزارة الخارجية. وتعمل هذه الهيئات مجتمعة. وبقدرة معين من التنسيق فيما بينها، ضمن ما يُعرف باسم عمليات التأثير (هاسباراه).

اللجنة التوجيهية لهيئة البث الإذاعي الإسرائيلية، المعروفة باسم «كول إسرائيل»، وكانت المواضيع الرئيسية التي بثتها إسرائيل لجمهور العرب تتمثل في: قوة إسرائيل وقدرتها على إلحاق الأذى بأي شخص يسعى إلى إيذاؤها، والنعمة التي تجلبها إسرائيل على الفلسطينيين الذين يخضعون لحكمها، وانتماء إسرائيل إلى الشرق الأوسط، والرغبة التي تبديها إسرائيل في السلام والمنافع التي يعود السلام بها على العرب.^٩ كما وجهت هذه المحطة الإذاعية الانتقادات للزعماء العرب، ووضعت نصب عينيها الخلافات التي سادت بين العرب، وكشفت النقاب عن افتقار وسائل الإعلام العربية إلى المصداقية.^{١٠}

وبالنسبة للهجة التي تبناها هذا البث الإذاعي وطابعه، أوصى دانييل نبرة تفادي نبرة الخيلاء والاستعلاء، والاستفادة من الشعارات والمصطلحات الجذابة التي تدغدغ مشاعر المستمعين. وفي العام ١٩٧٤، وجّه دانييل رسالة إلى وزير المعلومات يقول فيها إنه يمكن استخدام مصطلح الشعب الفلسطيني في بعض الأحيان، وألا يُستخدم إلا لماً في الوقت ذاته.^{١١}

في العام ١٩٦٧، أسس التلفزيون الإسرائيلي - وعهد إليه بالتعامل مع الخطاب الذي كانت محطات التلفزة التابعة للدول العربية تسوقه في مناهضة إسرائيل. فخاطبت البرامج الإسرائيلية التي كانت تبث بالعربية المواطنين العرب في إسرائيل والفلسطينيين في الأرض التي احتلتها في العام ١٩٦٧. وأعرب كبار المسؤولين الإسرائيليين عن أملهم في أن يساعد هذا البث في تغيير مفاهيم الفلسطينيين وتصوراتهم. ووعد الوزير الذي عُهدت إليه المسؤولية عن تأسيس التلفزيون الإسرائيلي، إسرائيل غاليلي، بأن هذا التلفزيون «سوف يمكننا من اختراق

المصلحة الفضلى لمواطنيها العرب.

وفي الوقت نفسه، كانت الصحيفة تؤيد السياسات التي انتهجتها إسرائيل بحق المواطنين العرب - بما يشمل الحكم العسكري الذي خضعوا له ومصادرة أراضيهم. وإلى جانب هذه الرسائل الإيجابية، عملت صحيفة «اليوم» على تقويض المفاهيم القومية التي يحملها العرب في إسرائيل ومصادقية الحزب الشيوعي - المنافس الرئيسي الذي وقف في وجه الأحزاب الكبرى في أوساط الجمهور العربي. وبدأ أن نبرة الصحيفة ولهجتها اتشحت بدرجة أكبر من التعالي مما كانت عليه في سالف عهدها. فقد كان الهدف الذي تسعى إليه يكمن في إنتاج «العربي الصامت»، حسبما ورد على لسان أمل جمال.^{١٢}

توقفت صحيفة «اليوم» عن الصدور في العام ١٩٦٨، وذلك بعد سنتين من انقضاء الحكم العسكري الذي فرض على المواطنين العرب في إسرائيل، وحلت محلها صحيفة «الأنباء» التي لم تزل تُنشر حتى العام ١٩٨٥. وكان الأمل يحدو محرري هذه الصحيفة في توظيف صحافيين فلسطينيين من الأرض المحتلة وتحويلها إلى أكثر الصحف انتشاراً فيها، بيد أن هذا الأمل لم يبصر النور مطلقاً.^{١٣}

في أواخر عهد الانتداب البريطاني، أطلقت الوكالة اليهودية محطة إذاعة تبث برامجها باللغة العربية ووجهتها إلى الفلسطينيين وإلى الدول العربية كذلك. وفي السنوات التالية، واصلت هذه الإذاعة البث تحت إشراف مكتب رئيس الوزراء ووزارة الخارجية.

وقد شارك عزرا دانييل، الذي أسس جهاز المخابرات في عصابة الهاغاناه، في البرامج الإسرائيلية التي كانت تبث بالعربية أثناء حرب العام ١٩٤٨. وفي الفترة الواقعة بين العامين ١٩٥٦ و١٩٦٧، تولى دانييل رئاسة

المساحات الحميمة لدى المشاهدين». وعبر عضو الكنيسة أهارون يدلين (حزب العمل) عن أمله في أن يفهم العرب في المناطق الصورة الحقيقية للمجتمع الإسرائيلي وأن يتحولوا إلى جسر لبلوغ السلام.^{١٢}

ولم تحل البرامج التي كان التلفزيون الإسرائيلي يبثها بالعربية دون استمرار حركة الكفاح التي خاضها الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال، والتي توجت باندلاع الانتفاضة في شهر كانون الأول ١٩٨٧. ويدعي نحمان شاي، الذي كان يشغل منصب الناطق الرسمي باسم قوات الدفاع الإسرائيلية في الفترة الواقعة بين العامين ١٩٨٩ و ١٩٩١ وتقلد رئاسة سلطة البث الإسرائيلية فيما بعد، أن الأثر الذي أفرزه التلفزيون على الخطاب العام في المناطق كان هامشيًا، لأسباب من جملتها الموازنة الضئيلة التي رُصدت له وساعات البث القليلة التي خُصصت له.

ووضع الناطقون الرسميون الإسرائيليون يدهم على مسار بديل يصل بهم إلى مرأى العرب ومسمعهم - القنوات التلفزيونية الفضائية العربية، ولا سيما قناة الجزيرة التي انطلقت في العام ١٩٩٦. فقد دأبت هذه القناة على استضافة الناطق الرسمي باسم قوات الدفاع الإسرائيلية بالعربية والناطقين الرسميين باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية الذين عرضوا وجهة نظر إسرائيل - وذلك حتى العام ٢٠٠٨ عندما قررت إسرائيل أن تتوقف عن تقديم الأشخاص الذين تجري القناة المقابلات معهم بسبب ما وصفته بتحيزها إلى جانب واحد.^{١٣} في أثناء هذه الفترة، أسست إسرائيل محطة تلفزيونية فضائية سعت إلى بث البرامج إلى العالم العربي - وهي تجربة بلغت نهايتها بعد سنتين بسبب افتقارها إلى المشاهدين.^{١٤}

وحتى نهاية العقد الأخير من القرن الماضي، شهدت القنوات الإعلامية التابعة للمؤسسة الإسرائيلية حالة من الانهيار الكامل تقريبًا. وقد لاحظ أحد الصحافيين المخضرمين في الشؤون العربية في سلطة البث الإسرائيلية أن:

إعداد البرامج العربية في التلفزيون الإسرائيلي ما هو إلا دعابة سمجة. فقد انهارت المغامرة الكبرى التي ساندتها الحكومة في سبيل إطلاق محطة للبث الفضائي باللغة

العربية على مدار الساعة وطيلة أيام الأسبوع قبل أكثر من سنتين بسبب إدارتها البائسة على مدى سنتين. ... وما بقي لا يزيد عن بث على طراز السبعينيات من القرن الماضي ومدته ثلاث ساعات في كل يوم على القناة ٣٣ الهامشية التي لا يمكن استقبالها في معظم أرجاء الشرق الأوسط.^{١٥}

ولكن شبكات التواصل الاجتماعي كانت قد بدأت تشهد الانتشار والازدهار حينئذ، فحولت منظومة الدعاية الإسرائيلية مساعيها إلى هذه الساحة الجديدة، التي تحتاج إلى قدر أقل من الموارد ويتاح الوصول إليها في مناطق شاسعة. فأطلق الناطق الرسمي باسم قوات الدفاع الإسرائيلية ووزارة الخارجية الإسرائيلية كلاهما صفحتيهما العربيتين على موقع «فيسبوك» في العام ٢٠١١، واستهل منسق أعمال الحكومة في المناطق إدارة صفحته على هذا الموقع في العام ٢٠١٥.

وبحلول شهر كانون الأول ٢٠٢٠، غدت هذه الصفحات تنبأى بحركة بيانات عالية. فقد حصدت صفحة المقدم أفيخاي أدري، رئيس شعبة الإعلام العربي في وحدة الناطق الرسمي باسم قوات الدفاع الإسرائيلية، على موقع «فيسبوك» ما مجموعه ١,٦ مليون إعجاب من جانب أشخاص أبدوا الاهتمام بالمنشورات التي تذاع على هذه الصفحة. ويتابع صفحة وزارة الخارجية ٢,٣٦ مليون متابع. ونالت صفحة منسق أعمال الحكومة في المناطق، التي تتعامل مع القضايا التي تكتسي طابعًا محليًا أكبر، ٢٦٠,٠٠٠ إعجابًا. (ومن الجدير بالملاحظة أن كلمة «إعجاب» لا تعني التأييد بالضرورة، وإنما تعبر عن الرغبة في تلقي الأخبار. وتزداد صعوبة تقييم العدد الحقيقي لمتابعي هذه الصفحات بسبب استخدام البرامج الآلية، وبالذات إشارات «الإعجاب» المؤتمتة).

وقد أشارت دراسة تناولت صفحة الناطق الرسمي باسم قوات الدفاع الإسرائيلية بالعربية إلى أن المواضيع التي تتطرق إليها لا تختلف اختلافًا ذا بال عما كانت تنشره وسائل إعلامية أخرى خلال العقود المنصرمة: (١) الردع والقوة، (٢) والدفاع، (٣) والاهتمام بالإنسان، (٤) والتعددية الثقافية، (٥)

تتمحور الرسائل التي يبثها جهاز الشاباك للفلسطينيين على هذه الصفحات حول مجالين يخدم الواحد منهما الآخر ويبسره: ميدان العمليات الاستخبارية، والسعي إلى تشكيل موقف سياسي يسلم بشرعية إسرائيل وبالسيطرة التي تفرضها على الأرض الفلسطينية المحتلة.

أو المركبات كما لو كانت أسلحة. وقُتل ٤٣ إسرائيليًا ونحو ١٦٠ فلسطينيًا. واتسمت هذه الانتفاضة بثلاث سمات ميزتها عن غيرها: صغر سن المشاركين فيها (حيث بلغ متوسط أعمارهم ٢١,٦ عامًا)، وغياب الروابط المباشرة بين منفذي الهجمات والتنظيمات الفلسطينية، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي على نطاق واسع والتشجيع على مواصلة شن الهجمات المسلحة.

وكان جهاز الشاباك يتلمس طريقه على غير هدى في ظلام حالك. فقد ثبت انعدام جدوى الجواسيس والمخبرين الذين كان هذا الجهاز يجندهم. ولم تكن كيانات سياسية تعمل على نشر المهاجمين أو توجيههم، وإنما كان هؤلاء يستمدون إلهامهم من الشبان الآخرين ومن الصفحات الشهيرة على مواقع التواصل الاجتماعي. وتبين أن متابعة موقع «فيسبوك» ورصده - وهي ممارسة راسخة دأبت الأجهزة الإسرائيلية عليها - ما عادت كافية. واقتضت الضرورة اتخاذ تدابير تتسم بقدر أكبر من الفعالية والنجاعة من أجل اختراق قنوات التواصل تلك وتعطيلها وحتى التعاون معها. فأتخذ قرار يقضي بأن يستهل جهاز الشاباك العمل على توظيف شبكات التواصل الاجتماعي على الملأ وتوجيه رسائله من خلالها إلى عامة الفلسطينيين على المستويين الوطني والمحلي، جنبًا إلى جنب مع النشاط السري الذي يؤديه في هذه الشبكات.

وتتمحور الرسائل التي يبثها جهاز الشاباك للفلسطينيين على هذه الصفحات حول مجالين يخدم الواحد منهما الآخر ويبسره: ميدان العمليات الاستخبارية، والسعي إلى تشكيل موقف سياسي يسلم بشرعية إسرائيل وبالسيطرة التي تفرضها على الأرض

والروح الإسرائيلية، (٦) ونزع الصفة الشرعية عن حركة حماس^{١٦}. وخلصت دراسة أخرى نُشرت في العام ٢٠١٣ إلى أن المنشورات التي تناولت القضايا الاجتماعية والقضايا الإنسانية شكلت ما نسبته ٣٢ في المائة و١٦ في المائة من حركة البيانات على هذه الصفحة، إلى جانب المنشورات المتعلقة بالأمن والتي مثلت ٦٠ في المائة من إجمالي تلك الحركة.^{١٧}

ودشن جهاز الشاباك مرحلة جديدة بانضمامه إلى هذه الساحة، حيث خطا خطوتين على هذا الصعيد، أولهما بإطلاق صفحته الرئيسية في العام ٢٠١٦، وثانيهما بظهور الصفحات الشخصية التي يرعاها ضباط الجهاز في العام ٢٠١٨. ويدرس المبحث التالي المواضيع الرئيسية التي تتناولها هذه الصفحات وردود الفلسطينيين عليها، ويُختتم بنظرة عامة على الطريقة التي تتجلى فيها العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية في المعركة التي تدور رحاها حول الوعي.

صفحات جهاز الشاباك على موقع

«فيسبوك»: المواضيع الرئيسية

شكلت الصفحة التي أطلقها جهاز الشاباك على موقع «فيسبوك» نقطة تحول في حضوره على شبكات التواصل الاجتماعي، حيث انتقل من الرصد والرقابة السلبية إلى المشاركة العلنية. وكان ما دفعه إلى ذلك يكمن في سلسلة الهجمات التي اصطُح على تسميتها «بانتفاضة الذئب المنفردة»، التي انطلقت في الفترة الواقعة بين شهري أيلول ٢٠١٥ وأيلول ٢٠١٦. فخلال هذه الفترة، نفذ الفلسطينيون ما يقرب من ٢٨٠ هجومًا على أفراد القوات الأمنية الإسرائيلية والمدنيين الإسرائيليين باستخدام السكاكين

الفلسطينية المحتلة.

الشبابك نفسها على النحو التالي: «لقد أطلقنا هذه الصفحة لتمكينكم من تمرير المعلومات إلينا عن الأشخاص الذين ينفذون هجمات وعن الأشخاص المطلوبين، من أجل حماية المصلحة العامة وسلامة الجمهور العام». وإذ يمضي المرء في قراءة الصفحة يجدها تؤكد: «إننا نفعل هذا للتخفيف من آلامكم وإبعاد الخطر عنكم... ونحن، بالطبع، نستطيع أن نساعد أولئك الذين يتبادلون المعلومات معنا بطرق مختلفة»^{١٨}. ولا تريد الصورة التي تظهر في واجهة الصفحة عن تشدد على هذه الرسالة:

فتظهر عبارة «خبرنا وأنت المستفيد» في التعليق الوارد على إحدى الصور. ويقول التعليق الآخر ببساطة: «انضم إلينا لمحاربة الإرهاب».

وفي بعض الحالات، نشر جهاز الشاباك صوراً لفلسطينيين اشتبه فيهم بالمشاركة في أعمال إرهابية أو نشاط مقاومة وأسماءهم، ووجه الدعوة إلى الناس لتقديم المعلومات عنهم. فعلى سبيل المثال، صرحت صفحة الجهاز في أعقاب إطلاق النار على حاجز النفق (١١ كانون الثاني ٢٠١٨) بأن: «إطلاق النار على حاجز النفق يهدف إلى الإضرار بأمن المنطقة وجميع سكانها اليهود والعرب على حد سواء. نحن نبذل جهوداً كبيرة للحفاظ على الحياة اليومية لسكان المنطقة بأسرها، ومثل هذا الحادث يؤثر سلباً على الجميع». وأُرفقت مع المنشور صورة التقطتها كاميرا أمنية لمطلق النار

يمكن تقسيم الرسائل التي تستهدف تحجيم المشاركة في حركة الكفاح بشقيها العسكري والسياسي على النحو التالي: (أ) الدعوة إلى تقديم المعلومات وإلى التعاون، (ب) الردع والاستدراج: التركيز على الأذى الذي سيلحق بالمشاركين في حركة الكفاح ضد إسرائيل، والمنافع التي تعود على أولئك الذين يتفادون العمل العسكري أو السياسي، (ج) وتشويه صورة القيادة العسكرية والسياسية الفلسطينية على الصعيدين المحلي والوطني.

تنطوي الرسائل التي تستهدف اجتراح تغيير أعم في التصورات السياسية على: (د) انتماء إسرائيل إلى المنطقة وأن الضباط يشكلون جزءاً من المشهد المحلي والثقافة المحلية، (هـ) وإسرائيل بوصفها تنوق إلى السلام وأنها دولة ديمقراطية تجلب النعيم والهناء إلى محيطها.

ويعرض جهاز الشاباك، من وراء الكواليس وبطرق ملتوية، تصوراً يُعد بموجبه الواقع السائد في الضفة الغربية - ولا سيما المستوطنات والسيطرة العسكرية الإسرائيلية - حالة إيجابية بالنسبة للفلسطينيين. ويتوافق ذلك كله باعتراف إسرائيلي معلن - على محدوديته - بقيام دولة فلسطينية.

أ) تجنيد المتعاونين

طرحت صفحة «بدنا نعيش» التي يديرها جهاز



الصورة رقم ١: منشورات ظهرت على صفحة «بدنا نعيش» على الفيسبوك بين العام ٢٠١٦-٢٠١٧.

من السمات الأخرى التي تسم الصفحات التي يرعاها جهاز الشاباك على موقع «فيسبوك» أنها تسعى إلى تصوير الضباط، والإسرائيليين بعمومهم، كما لو كانوا من أهل فلسطين الأصليين، وذلك على غرار النهج الذي اتبعه الرعيل الأول من الصهاينة، الذين شددوا على أن اليهود ساميون وأنهم ينتمون إلى الشرق.

التعاون معه. وبهذا المعنى، تتحول هذه الصفحات إلى ساحة تدور فيها رحى صراع محوره المفاهيم والتصورات، حيث يستخدم كلا الجانبين الأدوات المتاحة له ليروج لأجندته السياسية والعملية. فجهاز الشاباك يسعى إلى إغراء الناس وحملهم على نقل المعلومات، والنشطاء الفلسطينيين يحذرونهم من مغبة الانقياد له.

(ب) الردع: العصا والجزرة

تغيب كلمة «الاحتلال» من المفردات السياسية التي يوظفها جهاز الشاباك. ففي العالم الافتراضي الذي يرعاها هذا الجهاز، يعد الأشخاص الذين يُلقون الحجارة والمشاركون في حركة الكفاح المسلح منحرفين، يحرضهم على أفعالهم سيل لا ينضب من خطاب الكراهية الذي يكنّ العداء للصهيونية، أو يخضعون للسيطرة المباشرة التي يمارسها عليهم مدبرو الأعمال الإرهابية. وهم، فوق ذلك كله، يدمرون أنفسهم بأنفسهم.

والحجة التي يسوقها جهاز الشاباك بسيطة: إن الشبان الذين يشاركون في حركة الكفاح وينخرطون فيها يلحقون الأذى بأنفسهم. وتخطب صفحات «فيسبوك» أمهات هؤلاء الشبان كذلك، حيث تحثهن على النأي بأولادهن عن الطريق الذي يوردهم هذا الأذى. ففي يوم ١٦ حزيران ٢٠٢٠، وجهت صفحة «بدنا نعيش» دعوة قالت فيها: «إذا كنتِ تشتهين في أن ابنك له علاقة بهذه الهجمات، أخبرينا». وعندما اعتُقل اثنان من سكان مدينة الخليل في الشهر نفسه، نشر جهاز الشاباك فيلم فيديو يذكر فيه أن أحدهما كان طالباً في كلية الطب والآخر مدقق حسابات.

ووعدهم بتقديم مكافأة مالية لمن يدلي بمعلومات عنه. وتقدم الصياغة التي ترد فيها هذه المناشدة جهاز الشاباك كما لو كان حارساً منصفاً يكرس نفسه لحماية جميع السكان في الضفة الغربية، الفلسطينيين والمستوطنين منهم على السواء.

ردود الفلسطينيين

تعكس معظم الردود على منشورات جهاز الشاباك الكراهية التي يكنّها الفلسطينيون للمخبرين والمتعاونين. فقد رد أحد الفلسطينيين على تعليق نشره أحد الضباط بشأن المساعدة التي تلقاها من فلسطينيين في اعتقال عاصم البرغوثي بقوله: «لعنة الله على الكلب الذي ساعدك». وعلق آخرون بقولهم: «عاصم وصالح سوف يدنسون شرفك، حقير مثلك. توقع المفاجآت»، و«كل من ساعدك هو خائن ومتعاون».

وفي حالة أخرى طلب جهاز الشاباك المعلومات فيها، عرض أحد أصحاب الردود وجهة نظره العامة بشأن اليهود والعرب وفلسطين: «أنت تظن هؤلاء [الفلسطينيين] يسعون وراء المال. أنتم لستم مخطئين فحسب، بل أنتم أغبى شعب خلقه الله والشعب الذي يستحق الموت حرقاً. أنتم الشعب الذي يتخصص في التحريض على النزاعات، وأكثر شعب مكروه على وجه الأرض ... نحن لسنا جشعين مثلكم».

ومن الصعوبة أن نتبين ما إذا كان جهاز الشاباك يستطيع أن يجند المتعاونين عن طريق موقع «فيسبوك». فمن الواضح أن جميع الردود التي يدلي بها العامة تصدر عن أشخاص يعارضون

من أجل سلامته وسلامتك الأم العزيزة اذا تشكي بان لابنكي توجد علاقة في هذه العمليات بلغينا او توجهي الى السلطات المختصة.



الصورة رقم ٣: منشور ظهر على صفحة «بدنا نعيش» على الفيسبوك بعنوان «من أجل سلامته وسلامتك، الأم العزيزة: إذا كنت تشكين في أن ابنك له علاقة بهذه العمليات، بلغينا أو توجهي إلى السلطات المختصة».

عن تهيئة حياة أفضل كلام فارغ». ويرفق آخرون تعبيرات ساخرة واسعة الانتشار (ميمات) تسعى إلى إهانة من يهين كرامتهم.^{٢٠}

ج) تشويه صورة حركة الكفاح الفلسطيني وقياداتها ونشاطاتها

كان التشهير بالقادة والنشطاء الفلسطينيين وحركاتها، فضلاً عن حركة الكفاح المسلح التي يخوضها الفلسطينيون، وتلطيف سمعتهم من الأدوات الشائعة في الحرب النفسية الإسرائيلية منذ بداياتها. وفي ما يلي بعض الأمثلة على هذا التشهير والتشويه بشتى صورته. ففي صيف العام ٢٠١٩، نشر جهاز الشاباك رسماً كاريكاتيرياً لأحد نشطاء حماس في غزة - ينحدر من الخليل - وزعم بأنه يتحرش جنسياً بالأطفال.^{٢١}

وسخر معظم أصحاب الردود على الكابتن الذي نشر هذه الصورة، حيث علق أحدهم عليها بقوله: «احذر من أن تقف أمامه إذا كنت خائفاً». وسار العديد غيره على هذا المنوال نفسه.^{٢٢}

وفي سياق الحملة التي تستهدف تقويض حركة حماس، تساق الاتهامات لقياداتها التي تتخذ من قطاع غزة مقراً لها باستغلال الشباب في الضفة



الصورة رقم ٢: منشور ظهر على صفحة «بدنا نعيش» على الفيسبوك بعنوان «أهل الخليل الأعزاء: التواصل مع حماس يضر بحياتك».

وأظهر الفيديو، الذي سجل ما يربو على ٢٠,٠٠٠ مشاهدة، الشابان وهما خلف القضبان.

ومن بين أدوات الردع الشائعة، نشر الأخبار عن اعتقال نشطاء التنظيمات الفلسطينية على صفحات جهاز الشاباك.^{٢٣} فبعض الضباط ينشرون صوراً للمعتقلين أثناء إلقاء القبض عليهم أو صوراً لنشطاء مطلوبين توجه الدعوة إليهم لتسليم أنفسهم. ويبدو أن الضباط ينظرون إلى هذا الأمر كما لو كان فرصة لإذلال المعتقلين. كما يجري التلويع بالعقوبات المتوقعة: هدم المنازل، والأمهات الثكالي، والأطفال الذين ينشأون بعيداً عن آبائهم والأسرى الذين يقبعون في السجون الإسرائيلية.

ردود الفلسطينيين

لا تثير الصور التي ترمي في غاياتها إلى تحقيق الردع رد الفعل العام المرغوب. فصور المعتقلين تثير في جميع الأحوال تعليقات تتحدث عن عدالة القضية: «هؤلاء الشباب يعملون على تحقيق حقوقهم الأساسية: العدالة والحرية»، أو «تحيا حماس»، أو «الله يفرج عنهم عن قريب».

وتنتطوي ردود أخرى على رسائل توجهها الدعاية: «هذا ما تجيده إسرائيل - الاعتقال والقتل». «ما تقولونه



الصورة رقم ٤: منشورات لضباط مخابرات إسرائيليين على صفحاتهم على الفيسبوك.

ومن التكتيكات الأخرى التي تستهدف تقويض شرعية القضية الفلسطينية استنكار فساد الأخلاق الذي يلف المقاومة التي تنتهج العنف. فقد نفذت خلية حماس التي قادها عاصم البرغوثي المذكور أعلاه عملية أطلقت فيها النار على مفترق مستوطنة عوفرا (شمال رام الله) في شهر كانون الأول ٢٠١٨، وأصابت امرأة كانت حاملاً في شهرها السابع، وهي شيرا إيش-ران، من جملة آخرين. وتوفي الجنين بعد ثلاثة أيام من هذا الهجوم على الرغم من العملية الجراحية التي أجريت له لإنعاشه وإنقاذ حياته. ونشر جهاز الشاباك صورة لجثة الجنين وهو مسجى بالطيلسان أو التاليت (شال الصلاة عند اليهود)، مع هذا التعليق:

«كيف يشعر بالبطولة عندما يطلق النار على امرأة حامل؟

أي بطل يقتل طفلاً قبل ولادته وهو لا يزال في رحم أمه؟

أي بطل يهرب بعد فتح النار على الجنود؟

هؤلاء ليسوا أبطالاً.

أعضاء حماس ليسوا أبطالاً.

جبناء».^{٢٣}

الغربية كوقود لمدافعها. فقد عرضت صفحة جهاز الشاباك في أيار ٢٠٢٠ مقطع فيديو يُظهر نشطاء حماس وهم يلعبون كرة القدم ويركلون الأطفال من الضفة الغربية إلى السجون الإسرائيلية.

وبصرف النظر عن القوة الدافعة التي تقف وراء المعتقدات الدينية والحمية القومية، تكمن الفرضية التي يتضمنها معنى هذه الصورة في أن حركة حماس أو السلطة الفلسطينية تتلاعب بالانشطاء الشباب في الضفة الغربية أو تخدعهم أو تحملهم مكرهين على فعل ما تريدانه. ففي يوم ٢٨ كانون الثاني ٢٠٢٠، أطلقت السلطة الفلسطينية الاحتجاجات في أعقاب نشر خطة ترامب، وأراد جهاز الشاباك أن يهدئ الأجواء. فنقل الكابتن مفيد الرسالة «الشخصية» التالية:

يهمني أن تمر هذه الأيام القادمة بخير وأتمنى السلامة للجميع، ربما يتأثر بعضكم من تحريضات القيادات الفلسطينية التي أساءت القيادة وعملت طوال أعوام من أجل مصالحها الشخصية. نصيحتي لكم جميعاً أن لا تنجزوا وراء تحريضهم لأنهم وبكل بساطة لن يرسلوا أبناءهم إلى الشوارع ولن يرموا الحجارة ولن يشاركوا بأي عمل من أعمال الشغب لأنهم بنظر القادة أئمن من باقي أبناء الشعب.

د) الصورة الإيجابية: السلام والازدهار والديمقراطية والصحة

ينسلّ ضباط الشاباك بين الفينة والفينة إلى المنشورات التي تتطرق إلى رغبتهم ورغبة إسرائيل في السلام. وفي ما يلي مثال مقتبس من الكابتن عمري، الذي يتولى المسؤولية عن قرى غرب رام الله:

ليس سرّاً أنني أنا وأنتم لدينا هدف مشترك - العيش في سلام إلى جانب بعضنا بعضاً. لذلك، أشعر بالأسى عندما أرى شاباً من كفر نعمة اختاروا طريقاً لإنسانياً، وهو طريق العنف والإرهاب - الذي يلحق الأذى بهم، وبعائلاتهم وبالقرية كلها. قبل قليل، اعتقلنا أربعة شبان خططوا لهجوم إرهابي [...]. نحن كلنا نريد حياة هادئة، لكن أولئك الذين يختارون طريق الإرهاب سوف نلقي القبض عليهم ونعاقبهم بشدة.

ويلخص هذا المنشور رسالة جهاز الشاباك: إسرائيل معنية بالسلام، والتعايش تحديداً. وهذا من مصلحة الفلسطينيين كذلك. ومقاومة الاحتلال غير إنسانية وتعرض من ينخرط فيها للخطر هم ومجتمعاتهم، لأن إسرائيل تملك القدرة على معاقبتهم عقاباً قاسياً.

ومن الأمثلة الأخرى في هذا السياق أن الكابتن ميرو، عندما تولى منصبه بصفته ضابط المخابرات المسؤول عن منطقة مخيم قلنديا، قدم نفسه لسكان المخيم في منشور على صفحته على موقع «فيسبوك»، حيث أعلن: «سوف نعكس للعالم أجمع بأننا فلسطيني ويهودي من نصنع السلام ونحن قدوة العالم في الاستقرار».^{٢٧}

كما يرد التعبير عما تسوقه إسرائيل من «الدعوة إلى السلام» في صور الغلاف التي يصدر بها جهاز الشاباك معظم صفحاته على موقع «فيسبوك»، والتي تمثل اختزالاً بصرياً للقيم الأساسية التي يحملها هذا الجهاز، سواء أكانت أصيلة أم مزيفة. وهذه تشمل أفكاراً تصور الشراكة القائمة على قدم المساواة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وفي هذا المضمار، نرى يداً عليها رسم العلم الفلسطيني تصافح يداً عليها رسم العلم الإسرائيلي: عناق ينم عن الود. وقد نشر

ربما شعر ضباط الشاباك بأسى وألم عميقين إزاء وفاة الجنين، لكن هذا المنشور يراد له ان ينم عن تفوق أخلاقي. ويرد التعبير عن موقف مشابه على لسان الكابتن عمري المسؤول عن منطقة غرب رام الله، حيث نشر منشوراً ساخراً في أعقاب إلقاء الحجارة على سيارة إسرائيلية: «الشباب اللي ضربوا السيارات الليلة كل الاحترام لو شوي كنتوا تقتلوا طفل عيب...».^{٢٤}

ردود الفلسطينيين

أفضت الحاجة الوجودية التي تدفع الفلسطينيين إلى طلب تصاريح الدخول إلى إسرائيل بالمئات من مستخدمي موقع «فيسبوك» إلى التعليق، سواء بالكتابة أم باستخدام التعابير الساخرة الواسعة الانتشار (الميمات)، على المنشورات التي ترد حول هذا الموضوع. وكما هو الأمر في الحالات الأخرى، تراوحت هذه التعليقات من التعبير عن الامتنان، والاستعداد للمشاركة في الحوار إلى الشتم التي تنم عن الغضب والسخط.

ووردت التعليقات التي لم يغلفها طابع سياسي على لسان أشخاص كانوا يريدون التحقق من مدى أهليتهم للحصول على التصاريح. ومن هذه التعليقات، مثلاً: «أنا من الجلزون - ما التاريخ الذي نستطيع أن نتقابل فيه؟» أو «أنا من طولكرم وأعيش في رام الله. هل يمكنك أن تقبل طلبي؟».^{٢٥}

وترد هذه الأسئلة في صورة يلفها الأدب من جانب رجال يسعون إلى الوصول إلى السوق الإسرائيلي، وبالتالي إمكانية تحسين سبل عيشهم. وتبعد الشواغل الشخصية هؤلاء الرجال عن سياسة التحرير الوطني. واللامبالاة بحركة الكفاح الجماعية أمر يتطلع ضباط جهاز الشاباك إلى ترسيخه وتشجيعه. ففي الواقع، لم يفارق الأمل في أن يفضل عرب فلسطين المنافع الاقتصادية التي تعد الصهيونية بها على إنجاز تطلعاتهم الوطنية الحركة الصهيونية ولم يبارحها منذ أيامها الأولى.^{٢٦}



الصورة رقم ٥: على اليمين، من صفحة كابتن ساهر الضابط في المخابرات الإسرائيلية عن منطقة شرق رام الله؛ في الوسط، من صفحة كابتن أمين الضابط في المخابرات الإسرائيلية عن البلدة القديمة في القدس؛ وعلى اليسار، من صفحة كابتن سامح الضابط في المخابرات الإسرائيلية عن منطقة شمال رام الله.

«أحسن أنه مات في بطن أمه، وإلا كان سيقتل أولادنا عندما يكبر».^{٢٩}

(هـ) نحن ننتمي إلى هذا المكان

من السمات الأخرى التي تسم الصفحات التي يرعاها جهاز الشاباك على موقع «فيسبوك» أنها تسعى إلى تصوير الضباط، والإسرائيليين بعمومهم، كما لو كانوا من أهل فلسطين الأصليين، وذلك على غرار النهج الذي اتبعه الرعيل الأول من الصهاينة، الذين شددوا على أن اليهود ساميون وأنهم ينتمون إلى الشرق.

وتبذل صفحات الشاباك المحاولات في سبيل نقل هذه الرسالة من خلال عرض الصور التي تظهر المناظر الطبيعية الخلابة في فلسطين، بغية استحضار الإحساس بالوطن والألفة والحنين. والرسالة: هذه القرية، وتلك الأرض - تعود لنا كلنا. نحن الإسرائيليون وأنتم الفلسطينيون نتقاسم حب هذا المنظر الطبيعي الذي تزخر الضفة الغربية به.

في ما يلي، مثلاً، صفحة الكابتن فادي، وهو ضابط من ضباط الشاباك ويتولى المسؤولية عن منطقة أبو ديس، صورة امرأة فلسطينية مسنة في ثوبها التقليدي وهي تمشي في طريق وعرة وتمر بجانب منازل مبنية من الحجر ونوافذها المقوسة. وهذا المشهد مشهود ريفي يبعث الرثاء في النفس؛ والرسالة الموجهة إلى اللاشعور رسالة فيها معنى الإنسانية المشتركة والرغبة المشتركة في السلام.

كما ينشر ضباط جهاز الشاباك صوراً إسلامية

الضباط المسؤولون عن قرى شمال رام الله وشرقها الصور التالية:

وسنحت فرصة أخرى لإظهار الجانب الإيجابي لإسرائيل - من ناحية التنمية الطبية ومن ناحية الاستعداد للعمل على أساس من التعاون مع البلدان العربية - مع تفشي جائحة كورونا وانتشارها، فبينما منعت إسرائيل إطلاق الأنشطة الطبية بالنيابة عن السلطة الفلسطينية في الأحياء الفلسطينية بالقدس، نشر جهاز الشاباك التعليمات بشأن وضع حدٍّ للجائحة، وأكد الرسالة التي تقول إن إسرائيل تعتني بصحة الفلسطينيين كذلك. وتفيض صفحات ضباط الجهاز بالأمنيات بالصحة والعافية والتعليمات التي تبين كيفية التصرف في أثناء الجائحة.^{٢٨}

ردود الفلسطينيين

كانت التعليقات التي عبرت عن التعاطف والأسى إزاء الهجوم الذي استهدف أسرة إيش-ران قليلة، وترافقت هذه التعليقات أيضاً باقتراحات لضباط الشاباك لكي يوسعوا نظرتهم. فقد كتب أحد المعلقين: «بالفعل حرام، ولكن القتل في غزة ليس حراماً؟» وأشار عدد ليس بالقليل من المعلقين إلى نفاق إسرائيل بالنظر إلى أن الأطفال الفلسطينيين يُقتلون بالمئات. وطرح معلق آخر من الخليل سؤالاً استنكارياً: «من يقتل الأطفال؟ ومن يقتل كبار السن؟ ومن يقتل الصحفيين؟ ... من يصادر البيوت ويدمرها؟ ومن ومن ومن؟»، ولم تبرر قتل الأطفال الإسرائيليين سوى قلّة باعتباره دفاعاً عن النفس:



كابتن فادي - مسؤول منطقة ابو ديس والعيزرية والسواحة الشرقية
updated their cover photo.

June 6, 2018 · 🌐



الصورة رقم ٦: من صفحة كابتن فادي الضابط في المخابرات الإسرائيلية عن منطقة أبو ديس.

ردود الفلسطينيين

استغل المعلقون الفلسطينيون المحاضرة التي ألقاها الكابتن مفيد عن القيم الإسلامية كما لو كانت فرصة لتذكيره بالامتنان الذي يشعرون به تجاه الأسرى السياسيين. فقد صرحت إحدى المعلقات بأنها هي نفسها كانت في الأسر، وأن ذلك لم يلحق الأذى بها ولا بأسرتها، ونالت صاحبة هذا الرد الكثير من التعليقات التي أيدتها. ورد أحد المتابعين بقوله: «ما من شيء يضر كرامة الأسيرات. بل على العكس من ذلك. إنهن مصدر فخر واعتزاز لنا. إنهن يساوين ألف رجل يعتبرون أنفسهم رجالاً ولا يفعلون شيئاً». وقال آخر: «تحية إلى أسيراتنا المباركات، فعندهن من الكرامة ما يفوق ما عندنا كلنا».^{٣١}

واستغل معلقون آخرون الأخطاء النحوية واللغوية للتعبير عن احتقارهم وازدراءهم لجهاز الشاباك. فقد عرض أحد الفلسطينيين في سياق من السخرية على الكابتن بشير المسؤول عن منطقة بيت لحم: «أرسل إلي منشوراتك قبل أن تنشرها. إنك لا تستطيع

واقتباسات من القرآن الكريم وأمثال العرب لكي «يظهروا في مظهر الأصلاني». ويبدو أن ذلك يشبه محاولة ترمي إلى تصوير ضباط الشاباك كما لو كانوا جزءاً من نسيج المجتمع الفلسطيني، ومنغمسين في ثقافته ويتقاسمون القواعد التي يراعيها أبنائه في سلوكهم ويحترمون عاداته وتقاليده.

ويذهب بعض هؤلاء الضباط بعيداً إلى حد يعربون فيه عن «قلقهم» إزاء قيم الأسرة الفلسطينية. ففي منشور تداوله الكابتن مفيد (الخليل) في شهر تموز ٢٠١٩، أفاد بأن جهاز الشاباك اعتقل طالبة من جامعة الخليل ممن شاركت في أنشطة عسكرية. وشدد هذا الكابتن على أنه قد يجري اعتقال طالبات شابات في وقت قريب، وأن ذلك قد «يضر بشرف العائلة وسمعة البنت».^{٣٢} وهذه نظرة مشتركة تجاه المجتمع الفلسطيني في عيون الإسرائيليين، وليست فكرة تعدم الأساس بالضرورة. ففي الواقع، هناك بعض الأسر الفلسطينية التي تفضل أن تنأى ببناتها عن النشاط السياسي أو العسكري، ولكن من الواضح أنها ليست كلها كذلك.

ويدرك النشطاء الفلسطينيون الذين يتسمون بالبراعة والدهاء في العالم الافتراضي أن الصفحات التي يراها جهاز الشاباك على موقع «فيسبوك» تشكل جزءاً من الحرب النفسية الإسرائيلية الأوسع التي تناولناها بالبيان آنفاً، والتي تسعى إلى تقويض التزام سكان الضفة الغربية بحركة الكفاح الوطني الفلسطيني. ويرد هؤلاء النشطاء على تلك الصفحات، حيث تفصح ردودهم عن وجهات نظر فلسطينية متباينة.

حتى تهجئة اسم القرية».^{٢٢}

كما طالبت السخرية الكابتن ساهر (المسؤول عن قرى شرق رام الله) الذي اقتبس آيات من القرآن الكريم: «كن مبدعاً أكثر، ولا تستخدم القرآن. في وسعك أن تستخدم كتبكم. وأياً كان الأمر، فلن تتمكن أبداً من أن تدخل في عقولنا وتفهمنا».^{٢٣}

ومن الشائع كذلك نشر المعاديات من جانب الشركات التجارية وضباط جهاز الشاباك على السواء. فعلى سبيل المثال، نشر الكابتن أديب (الخليل) الصورة التقليدية لهلال يغشى الحرم المكي مع تعليق قال فيه: «شهر التوبة والغفران» وتلقى هذا الكابتن تعليقاً وحيداً وقاسياً قال صاحبه فيه: «رمضان النامش الكو». ورد أهل الخليل على المباركة التي جرت عليها تقاليدهم، والتي نشرها الكابتن المذكور - كل عام وأنتم بخير، بقولهم: «كلنا بخير، والحمد لله، ولكن ابتعد عنا».^{٢٤}

النتيجة

غدت شبكات التواصل الاجتماعي، التي تحولت إلى سمة رئيسة في الحياة اليومية لدى الكثير من الناس، أداة في يد أجهزة المخابرات في شتى أرجاء العالم، بما يشمل إسرائيل. وتوظف هذه الأجهزة وسائل التواصل الاجتماعي لغايات جمع المعلومات، ولغايات المضي في «عمليات التأثير» في الوقت نفسه. ولذلك، تواصل أجهزة المخابرات السير على خطى تقليد قديم دأبت إسرائيل فيه على استخدام ما يُعرف باسم الحرب النفسية، أو القوة الناعمة.

وتنفرد الطريقة التي يعتمدها جهاز الشاباك في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي بأنها توظف

المبادئ العامة التي تركز الدعاية الإسرائيلية عليها، حيث تضع نصب عينيها على الحيز المحلي للموس. فتتقل الرسالة الصهيونية القديمة - سوف يحقق الاستيطان اليهودي في فلسطين الرخاء والازدهار لجميع سكان هذه الأرض طالما لم يقاوموه - إلى الحيز المحلي. ولا ينفك الضباط، الذين يتولون المسؤولية عن منح التصاريح اللازمة لدخول إسرائيل، يقولون للفلسطينيين الذي يخضعون لسيطرتهم إن التخلي عن الكفاح في مواجهة الاحتلال قد يأتيهم بالرخاء والازدهار.

وتعرض الفكرة الصهيونية القديمة التي تقول إن إسرائيل تتطلع إلى السلام وتتوق إليه في تلك الصفحات على المستويين العام والمحلي. فالضباط يكتبون عن رغبة إسرائيل في السلام، ويركزون في منشوراتهم على مصلحة السكان في كل منطقة من مناطق الضفة الغربية - سواء أكانوا مستوطنين أم فلسطينيين - في العيش في سلام وإقامة علاقة جوار طيبة. ويشير الخطاب الذي يعتمده هؤلاء الضباط إلى المستوطنات بوصفها قرى الجيران، وإلى الحكم العسكري الإسرائيلي بوصفه صاحب السيادة المشروعة، وإلى الكفاح الذي يخوضه الفلسطينيون في سبيل نيل حريتهم بوصفه اعتداء على الإنسانية. أما الفلسطينيون الذين لا ينفكون يثيرون الحقائق التي لا تتواءم مع وجهة النظر الإسرائيلية الرسمية فلا يلقون أي إجابة على تعليقاتهم وردودهم.

ويقدم الضباط والمستوطنون (الذي يأخذون وصف «الجيران») أنفسهم على أنهم محليون. فهذا ييسر لهم أن يطرحوا الكفاح ضد الاحتلال بجميع أشكاله في صورة مسعى خاطئ يتنافى مع الأخلاق ويتعارض مع السلام والتقدم والرفاه الاقتصادي،

كما يتيح ذلك لهم أن يضيفوا سمة طبيعية على الحالة الراهنة التي تشهد فرض السيطرة العسكرية الإسرائيلية والعمل الدؤوب على توسيع المستوطنات.

وفي الوقت نفسه، لا تزيد الصفحات التي يديرها جهاز الشاباك عن سوق كلمات جوفاء عن إقامة الدولة الفلسطينية، باعتبارها امتدادًا لعملية أسلو، التي أفضت إلى قيام السلطة الفلسطينية. ومن الأمثلة الجلية على ذلك الاستخدام المتواتر للعلم الفلسطيني في صور الغلاف التي يضعها ضباط الجهاز في صدر صفحاتهم. فمن خلال عرض هذا العلم، الذي كان يُمنع رفعه حتى الوقت الذي أبرمت فيه اتفاقية أوسلو، يعبر ضباط الشاباك عن اعتراف إسرائيل الرمزي بالجنسية الفلسطينية - على الرغم من اجتزاؤها وتحجيمها على الصعيد الجغرافي وفي جوهرها كذلك.

ويدرك النشطاء الفلسطينيون الذين يتسمون بالبراعة والدهاء في العالم الافتراضي أن الصفحات التي يراها جهاز الشاباك على موقع «فيسبوك» تشكل جزءًا من الحرب النفسية الإسرائيلية الأوسع التي تناولناها بالبيان آنفًا، والتي تسعى إلى تقويض التزام سكان الضفة الغربية بحركة الكفاح الوطني الفلسطيني. ويرد هؤلاء النشطاء على تلك الصفحات، حيث تفصح ردودهم عن وجهات نظر فلسطينية متباينة.

وتدل هذه التعليقات على أن النشطاء الفلسطينيين يعرفون هذا التحرك الإسرائيلي باعتباره محاولة تسعى إلى تطبيع الاحتلال والمستوطنات وتقويض الدافع الذي يحث الفلسطينيين على الوقوف في وجه إسرائيل. ولا يفتأ هؤلاء النشطاء يشيرون إلى ما دأبت عليه إسرائيل من الإشاحة ببصرها وتغافلها عن حالة الفلسطينيين والمركز الرفيع المستوى الذي يتبوأه ضباط الشاباك. كما يذكر النشطاء الفلسطينيون رفاقهم بأن الاحتلال لا يزال جاثمًا على أرضهم، مهما حاول هؤلاء الضباط في سبيل طمس هذه الحقيقة.

وفي الواقع، تعد القدرة على الرد على الرسائل التي يوجهها جهاز الشاباك سمة جديدة أخرى تؤمّن لها شبكات التواصل الاجتماعي. ومع ذلك، نلاحظ أن ضباط الشاباك، كقاعدة عامة، لا يشاركون في الحوار

مع من يرد على صفحاتهم، وعلى الأقل مع أولئك الذين يعلنون عن استعدادهم للعيش في كنف السلام والمساواة ويتحدون هؤلاء الضباط في تنفيذ الادعاءات التي تسوقها إسرائيل في هذا الشأن.

فهل تجترح «عمليات كي الوعي» تلك تغييرًا في المفاهيم التي يحملها الفلسطينيون وتصوراتهم؟ على المستوى المباشر، من الممكن أن هذه العمليات تجعل الفتية يترددون في الانضمام إلى حركة الكفاح، وهو ما يعد هدفًا رئيسًا من الأهداف التي يتوخاها جهاز الشاباك. ولكن لا يبدو أن تلك العمليات أفرزت تغييرًا ذا بال في ما يتعلق بالمسائل الجوهرية. فالتعليقات تشير إلى أن الفلسطينيين لا يميلون إلى الاقتناع بأن الاحتلال لا وجود له وأن المستوطنات تصب في مصلحتهم.

إن اللهجة المتعالية التي تتخذها هذه الصفحات، وعلى خلاف النصيحة القديمة التي أسداها عزرا دانين للمذيعين في محطات الإذاعة والتلفزيون بالعربية، إلى جانب انتحال العبارات والأمثال العربية، تشير الامتناع ولا تحض على الرغبة في الاستماع. فمعظم المعلقين على محتوى تلك الصفحات يشيرون إليه على أنه كذب فج.

وفي ضوء ما تقدم، لا يفرز الإعلام الجديد أي تغيير في الحجج التي تسوقها إسرائيل، ولا في الردود التي يقابلها الفلسطينيون بها. فقد افترضت صحيفة «فلسطين» في وقت مبكر يرجع إلى العام ١٩١٤ أن النشر باللغة العربية يزيد من مستويات العداء للصهاينة، وقد يصدق هذا القول نفسه اليوم.^{٣٥}

(ترجمه عن الإنكليزية: ياسين السيد)

الهوامش

- ٢٤ إنظري الرابط التالي:
<https://www.facebook.com/190024391584142/posts/575288756391035/>
- ٢٥ تم إلغاء صفحة "بدنا نعيش"، وعليه، لا يمكن الإحالة إليها حالياً.
26 Hillel Cohen, "Zionism as a Blessing to the Arabs: History of an Argument", The British Mandate in Palestine: A Centenary Volume 1920-2020 (London and New York: Routledge, 2020): 157-171.
راجع/ي الصفحة التالية:
<https://www.facebook.com/captenhosam11/posts/690184854916802>.
- ٢٨ انظري مثلاً.
https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=1491598654345447&id=860571610781491
- ٢٩ صفحة الفيسبوك غير متوفرة حالياً.
راجع/ي الصفحة التالية:
<https://www.facebook.com/327533408185894/posts/336821673923734>
- ٣١ المصدر السابق، في التعليقات.
- ٣٢ راجع/ي الصفحة التالية:
<https://www.facebook.com/108275094012541/posts/115491119957605>.
- ٣٣ راجع/ي الصفحة التالية:
<https://www.facebook.com/190097874902956/posts/602810883631651>
- ٣٤ راجع/ي الصفحة التالية: <https://bit.ly/3LwU2T>
- 35 Filastin, 11 April 1914, quoted in Rachel Hart. "Associations Et Organisations à Tel-Aviv à Ses Débuts", Revue Européenne Des Études Hébraïques, 14, (2009): 61.
- ٣٦ هذه نسخة مختصرة عن مقالة أطول تم نشرها في وقت سابق من هذا العام:
Hillel Cohen, "Marketing the Occupation to the Palestinians of the West Bank: Shabak Facebook Pages in Historical Context," *Israel Studies* 27, 1-34 (2022): 1-34. وقد قام المؤلف بإعادة صياغتها لتناسب مع مجلة قضايا إسرائيلية في كانون ثاني ٢٠٢٢
- ٣٧ من المهم التوضيح أن هذه الحركة أخذت اسم حركة فلسطينية ناشطة في غزة واستخدمته، مع العلم أنه لا علاقة بين الحركتين، وقد تم لاحقاً توقف حركة بدنا نعيش المخبرانية ولم تعد صفحتها قائمة، وعليه، لا يمكن الرجوع حالياً إلى رابط موقع الفيسبوك عند الإحالات داخل النص (المحرر).
- 38 Daniel Cohen and Ofir Bar'el, The Use of Cyberwarfare in Influence Operations (Tel Aviv: Yuval Ne'eman Workshop for Science, Technology and Security, Tel Aviv University, 2017): 23-4.
- 39 Cohen and Bar'el, 13.
- 40 Hillel Cohen, "Between a Rock and a Hard Place: Palestinian Pro-Zionist Propagandists Between Zionist Institutions and Arab Nationalists (1930-1931)", *Israel Affairs* 14:1 (Jan. 2008): 52.
- 41 Ibid
- 42 Amal Jamal, "Manufacturing 'Quiet Arabs' in Israel: Ethnicity, Media Frames and Soft Power", *Government and Opposition* 48, no. 2 (2013): 245-64.
- 43 Mustafa Kabha and Dan Caspi, *The Palestinian Arab In/Outsiders: Media and Conflict in Israel* (London, Vallentine Mitchell, 2011)
- 44 Ezra Danin, *A Zionist Under Any Condition* (Kidom, Jerusalem, 1987): 409-410 [in Hebrew].
- 45 Ibid, 394-396; 399-400.
- 46 Ibid, 409.
- 47 Galia Press-Barnathan, "Managing Multiple Identity Challenges and the Origins of Israeli National Television (in Arabic)" *Media, Culture & Society*. 41:4 (2019): 449-464.
- 48 Nachman Shai, *Hearts and Minds: Israel and the Battle for Public Opinion* (SUNY Press, Albany, 2018), 85-86.
- ٤٩ للاطلاع على نقاط الضعف التي شابت هذه القناة، انظري:
Dan Diker, "Should Israel Now Send a New Message to the Arab World?", *Jerusalem Letter / Viewpoints* No. 497 (1 May 2003). See: <http://www.jcpa.org/jl/vp497.htm>
- 50 Ehud Ya'ari, "Choosing to be Dumb — the Arabic TV Fiasco," *The Jerusalem Report*, March 5, 2007, p. 20.
- ١ هذه نسخة مختصرة عن مقالة أطول تم نشرها في وقت سابق من هذا العام:
Hillel Cohen, "Marketing the Occupation to the Palestinians of the West Bank: Shabak Facebook Pages in Historical Context," *Israel Studies* 27, 1-34 (2022): 1-34. وقد قام المؤلف بإعادة صياغتها لتناسب مع مجلة قضايا إسرائيلية في كانون ثاني ٢٠٢٢
- ٢ من المهم التوضيح أن هذه الحركة أخذت اسم حركة فلسطينية ناشطة في غزة واستخدمته، مع العلم أنه لا علاقة بين الحركتين، وقد تم لاحقاً توقف حركة بدنا نعيش المخبرانية ولم تعد صفحتها قائمة، وعليه، لا يمكن الرجوع حالياً إلى رابط موقع الفيسبوك عند الإحالات داخل النص (المحرر).
- 3 Daniel Cohen and Ofir Bar'el, The Use of Cyberwarfare in Influence Operations (Tel Aviv: Yuval Ne'eman Workshop for Science, Technology and Security, Tel Aviv University, 2017): 23-4.
- 4 Cohen and Bar'el, 13.
- 5 Hillel Cohen, "Between a Rock and a Hard Place: Palestinian Pro-Zionist Propagandists Between Zionist Institutions and Arab Nationalists (1930-1931)", *Israel Affairs* 14:1 (Jan. 2008): 52.
- 6 Ibid
- 7 Amal Jamal, "Manufacturing 'Quiet Arabs' in Israel: Ethnicity, Media Frames and Soft Power", *Government and Opposition* 48, no. 2 (2013): 245-64.
- 8 Mustafa Kabha and Dan Caspi, *The Palestinian Arab In/Outsiders: Media and Conflict in Israel* (London, Vallentine Mitchell, 2011)
- 9 Ezra Danin, *A Zionist Under Any Condition* (Kidom, Jerusalem, 1987): 409-410 [in Hebrew].
- 10 Ibid, 394-396; 399-400.
- 11 Ibid, 409.
- 12 Galia Press-Barnathan, "Managing Multiple Identity Challenges and the Origins of Israeli National Television (in Arabic)" *Media, Culture & Society*. 41:4 (2019): 449-464.
- 13 Nachman Shai, *Hearts and Minds: Israel and the Battle for Public Opinion* (SUNY Press, Albany, 2018), 85-86.
- ١٤ للاطلاع على نقاط الضعف التي شابت هذه القناة، انظري:
Dan Diker, "Should Israel Now Send a New Message to the Arab World?", *Jerusalem Letter / Viewpoints* No. 497 (1 May 2003). See: <http://www.jcpa.org/jl/vp497.htm>
- 15 Ehud Ya'ari, "Choosing to be Dumb — the Arabic TV Fiasco," *The Jerusalem Report*, March 5, 2007, p. 20.
- 16 Tal Samuel-Azran and Moran Yarchi, "Military Public Diplomacy 2.0: The Arabic Facebook Page of the Israeli Defense Forces' Spokesperson", *Journal of Diplomacy* 13.3 (2018): 12; 16-17.
- 17 Said Abu Mualla, "Palestinian - Israeli Cyber Conflict: An Analytical Study of the Israeli Propaganda on Facebook Adraei's page as an example", *Journal of the Arab American University*, 3:2 (2017), : 63-4.
- 18 Ibid.
- ١٩ إنظري منشورات "كابتن كرم"، ضابط الشاباك المسؤول عن مخيم العروب، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3NxXgab>
- ٢٠ وردت هذه التعليقات بتاريخ ٧ تشرين الثاني ٢٠٢٠ كرد على منشور "الكابتن دوري" المسؤول عن منطقة غرب رام الله.
أو بتاريخ ٢٠ أيار 2020 كرد على منشور "الكابتن حليبي" المسؤول عن مخيم الأمعري.
- 21 <https://www.facebook.com/1705348256414236/posts/2344910809124641/>
- ٢٢ المصدر السابق، في التعليقات.
- ٢٣ هذا المنشور، بالإضافة إلى معظم منشورات المخبرات الإسرائيلية، قد لا تكون متاحة حالياً، إما بسبب إلغاء الصفحة الخاصة على الفيسبوك، أو بسبب شطب المنشور نفسه بعد وقت قصير (المحرر). أنظري:
<http://www.facebook.com/bidnanaish/photos/a.1711467045802357/2206514706297586/?type=3&theater>

- ٦٠ تم إلغاء صفحة "بدنا نعيش"، وعليه، لا يمكن الإحالة إليها حالياً.
- 61 Hillel Cohen, "Zionism as a Blessing to the Arabs: History of an Argument", *The British Mandate in Palestine: A Centenary Volume 1920-2020* (London and New York: Routledge, 2020): 157-171.
- ٦٢ راجع/ي الصفحة التالية:
<https://www.facebook.com/captenhosam11/posts/690184854916802>.
- ٦٣ انظر/ي مثلاً،
https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=1491598654345447&id=860571610781491
- ٦٤ صفحة الفيسبوك غير متوفرة حالياً.
- ٦٥ راجع/ي الصفحة التالية:
<https://www.facebook.com/327533408185894/posts/336821673923734>
- ٦٦ المصدر السابق، في التعليقات.
- ٦٧ راجع/ي الصفحة التالية:
<https://www.facebook.com/108275094012541/posts/115491119957605/>
- ٦٨ راجع/ي الصفحة التالية:
<https://www.facebook.com/190097874902956/posts/602810883631651/>
- ٦٩ راجع/ي الصفحة التالية: <https://bit.ly/3LLwU2T>
- 70 Filastin, 11 April 1914, quoted in Rachel Hart. "Associations Et Organisations à Tel-Aviv à Ses Débuts", *Revue Européenne Des Études Hébraïques*, 14, (2009): 61.
- 51 Tal Samuel-Azran and Moran Yarchi, "Military Public Diplomacy 2.0: The Arabic Facebook Page of the Israeli Defense Forces' Spokesperson", *Journal of Diplomacy* 13.3 (2018): 12; 16-17.
- 52 Said Abu Mualla, "Palestinian - Israeli Cyber Conflict: An Analytical Study of the Israeli Propaganda on Facebook Adraei's page as an example", *Journal of the Arab American University*, 3:2 (2017), : 63-4.
- 53 Ibid.
- ٥٤ إنظر/ي منشورات "كابتن كرم"، ضابط الشاباك المسؤول عن مخيم العروب، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3NxXgab>
- ٥٥ وردت هذه التعليقات بتاريخ ٧ تشرين الثاني ٢٠٢٠ كرد على منشور "الكابتن دوري" المسؤول عن منطقة غرب رام الله.
- أو بتاريخ ٢٠ أيار 2020 كرد على منشور "الكابتن حلبى" المسؤول عن مخيم الأمعري.
- 56 <https://www.facebook.com/1705348256414236/posts/2344910809124641/>
- ٥٧ المصدر السابق، في التعليقات.
- ٥٨ هذا المنشور، بالإضافة إلى معظم منشورات المخابرات الإسرائيلية، قد لا تكون متاحة حالياً، إما بسبب إلغاء الصفحة الخاصة على الفيسبوك، أو بسبب شطب المنشور نفسه بعد وقت قصير (المحور)، أنظر/ي:
<http://www.facebook.com/bidnanaish/photos/a.1711467045802357/2206514706297586/?type=3&theater>
- ٥٩ إنظر/ي الرابط التالي:
<https://www.facebook.com/190024391584142/posts/575288756391035/>